في ندوة دولية شهدتها مكتبة الإسكندرية عن «تاريخ الطباعة والنشر»:

دور الطباعة في التواصل الثقافي والحضاري بين الشعوب

< شهدت مكتبة الاسكندرية خلال الايام الماضية انعقاد الندوة الدولية الرابعة لتاريخ الطباعة والنشر بلغات وبلدان الشرق الأوسط، والتي نظمها مركز الخطوط بمكتبة الاسكندرية في الفترة من ٢٧ - ٢٩ من الشهر الماضي، بمشاركة عدد كبير من الباحثين من المغرب، والولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وألمانيا، وأرمينيا، والأردن، والسودان، وتونس، وأذربيجان، وفرنسا، والبحرين، والجزائر، وكندا، وإيطاليا، ولبنان، وتركيا، واليمن.

والتي تأتي استمراراً للندوات الدولية الثلاث الناجحة التي عقدت في متحف جوتنبرج في مينز عام ٢٠٠٢، وفي مكتبة فرنسا الوطنية بباريس عام ٢٠٠٥، وفي جامعة ليبزج بألمانيا عام ٢٠٠٨

افتتح الندوة د. إسماعيل سراج الدين: مدير مكتبة الإسكندرية، وأرمين ملكونيان: سفير جمهورية أرمينيا لدى مصر، ود. جيفري روبر: الخبير في مجال البيبلوغرافيا الإسلامية ومؤسس سلسلة الندوات الدولية للطباعة والنشر. وقام المشاركون عقب الجلسة الافتتاحية بافتتاح معرض الخطوط العربية الرقمية، الى جانب معرض للخطوط والطباعة ضم عددا من أعمال الرواد الأوائل من علماء الأرمن من خلال مجموعة من أوائل وأندر المطبوعات الأرمينية.

و في أفتتاح الندوة قال د. إسماعيل سراج الدين مدير مكتبة الإسكندرية، إن الندوة الدولية الرابعة لتاريخ الطباعة والنشر بلغات وبلدان الشرق الأوسط تهدف في الأساس إلى إعادة توجيه الأنظار إلى قيمة دراسة وتحليل تاريخ الطباعة والنشر، مشيرًا إلى أن الندوة تسهم في تسهيل تبادل المعرفة والخبرات في هذا المجال بين العلماء والباحثين. وأكد أن مناقشة موضوع الطباعة بلغات وبلدان الشرق الأوسط في الإسكندرية تحديدًا يقدم فرصة كبيرة لعلماء الوطن العربي والشرق الأوسط للمشاركة بأبحاثهم وأعمالهم في هذا المجال.

واشار إلى أن الندوة تحتفي في دورتها الحالية باختيار مدينة يريفان الأرمينية عاصمة عالمية للكتاب ٢٠١٢، وذلك من خلال تخصيص جلسة خاصة بالندوة حول الطباعة الأرمينية. وألمح في هذا الإطار إلى وجود العديد من الخطوط المتوازية في التاريخ الثقافي والحضاري المصري والأرميني، مؤكدًا أن العالم بأسره استفاد من النهضة الأرمينية في مجالات مختلفة، كالثقافة والفن والتجارة.

وتضمنت الندوة مجموعة من المحاور التاريخية؛ مثل: الطباعة العربية بلغات الشرق الأوسط في بلدان الشرق الأوسط والشرق الأقصى وأوروبا وأفريقيا والأميركيتين، والطباعة ودورها في التواصل الحضاري والثقافي، وأشكال وتقنيات الطباعة التراثية، والمتاحف الطباعية التراثية، ومطبوعات الجاليات والأقليات.

بالإضافة إلى مجموعة من المحاور التقنية؛ مثل: الخطوط الرقمية الطباعية (التراثية/الحديثة)، والوسائط الطباعية المتعددة (تقنيات النشر والطباعة الحديثة بلغات الشرق الأوسط)، والمتاحف الطباعية الافتراضية/التخيلية ت العربية الآن.

و شارك في الندوة مجموعة من الباحثين الأرمن الذين تحدثوا عن الطباعة الأرمينية. من خلال تناولهم مجموعة من المحاور؛ هي: دور الطباعة في تفعيل القضية الأرمينية في الدولة العثمانية، والطباعة الأرمينية في مصر الحديثة: مواكبة الحداثة ودعامة الهوية، والأرمن المصريون وطباعة الليثوغراف الشعبي، والطباعة الأرمينية في إطار تاريخ الطباعة العالمي، وتراث المخطوطات الأرمينية في ضوء تاريخ الطباعة بأرمينيا.

وتطرقت الندوة إلى موضوع توثيق كتابات نكبة فلسطين (١٩٤٨)، حيث القى الباحث بلير كونتز الموافق محاضرة بعنوان «توثيق كتابات «النكبة: النشر لكتّاب المقاومة الفلسطينيين (١٩٤٨-١٩٨٢)»؛ وسلط فيها الضوء حول كتابات الشعراء والأدباء حول الألم والحزن الذي كان يعتصر الأخوة الفلسطينيين بعد طردهم من بلادهم وديارهم، وشعورهم بالإذلال بعد النكبة الفلسطينية.

وعرضت الندوة ولأول مرة نماذج من المطبوعات المصرية قبل ظهور مطبعة بولاق، والقى الدكتور جيفري روبر محاضرة بعنوان «الطباعة في مصر قبل مطبعة بولاق»؛ يتحدث فيها عن نشأة الطباعة في مصر قبل عام ١٨٢٠؛ وهو عام إنشاء المطبعة الكبرى في مصر «مطبعة بولاق» التي أنشأها محمد علي.

وكشفت الندوة الدولية الرابعة لتاريخ الطباعة والنشر بلغات وبلدان الشرق الأوسط، عن أسرار مهمة حول ظهور الطباعة عربيا ودورها في التواصل الحضاري والثقافي العربي. العربي والعربي. الغربي، وأشكال وتقنيات الطباعة التراثية، والمتاحف الطباعية التراثية، ومطبوعات الجاليات والأقليات، إضافة إلى الطباعة الأرمينية؛ كما ناقشت الخطوط الرقمية الطباعية (التراثية/الحديثة)، والوسائط الطباعية المتعددة (تقنيات النشر والطباعة الحديثة بلغات الشرق الأوسط)، والمتاحف الطباعية الافتراضية/التخيلية،

فنون الطباعة على الورق

د. مصطفى الرزاز أستاذ الفنون الجميلة بكلية التربية الفنية، جامعة حلوان رأى إلى أن كل من كتبوا عن تاريخ الطباعة الفنية اليدوية في مصر أشاروا إلى أن بدايتها الفعليّة جاءت مع الثلث الأول من القرن العشرين، باستثناء القوالب الخشبية البارزة التي استخدمها المصريون منذ العصر الفاطمي، والتي تحتوي على زخارف تكرارية هندسية ونباتية وحيوانية، استخدمت في طباعة المنسوجات.

وقال: «يشيرون بكل ثقة إلى أن فنون الطباعة على الورق قد تأخرت في مصر ما يقارب الخمسة قرون؛ حيث يؤرخ لبداية الطباعة الفنية في أوروبا فيما بين منتصف القرن الثاني عشر متمثلة في طباعة أوراق اللعب والصور الدينية. غير أن الباحث ستيتشفيتش قد أفاد في مصنفه عن تاريخ الكتاب بما يخالف ذلك التصور الشائع عن تاريخ الطباعة على الورق وطباعة الكتب في مصر؛ إذ يقرر أن الكتب الأولى المطبوعة بالقوالب الخشبية التي ظهرت في أوروبا قد ظهرت في الوقت الذي توقف فيه إنتاجها في مصر، ويتضح من بحوثه أن مصر عرفت طباعة الكتب بالقوالب الخشبية في وقت مقارب جدًا لطباعة أول كتاب معروف للصيني «وانج شيه» عام ٩٦٨، وهو كتاب دورة البوذية Diamond Sutra، ففي اكتشاف يرجع إلى نهاية القرن التاسع عشر تم العثور في آثار مدينة قريبة من الفيوم بمصر على خبيئة تضم حوالي خمسين كتابًا، وكذلك تم العثور عام ١٨٩٤ على عدة أوراق مطبوعة عبارة عن أحجبة طبعت بالقوالب الخشبية في الفترة من ٩٠٠ إلى ١٣٥٠ وهي ضمن مجموعة الأرشيدوق بالمكتبة الوطنية بفينا».

وكشف الرزاز أن متحف الفن الإسلامي بالقاهرة يقتني مجموعة من الأوراق المطبوعة ترجع إلى ما بين القرنين العاشر والثاني عشر، عثر عليها في الفسطاط والبهنسا والقصير، وهي وثائق دالة على أن المصريين قد عرفوا ومارسوا فن الحفر البارز على الخشب قبل أن يستخدمه الأوروبيون بأربعة قرون ونصف القرن؛ حيث بدأت هذه التقنية في أوروبا فيما بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر.

ولفت الرزاز لدور الأرمن المصريين في الطباعة الليثوغرافية الشعبية «حينما نزح الأرمن إلى مصر هربًا من الأتراك كان من بينهم أصحاب مهارة حرفية متمرسون على الطباعة الليثوغرافية، فشاعت في الأسواق الشعبية مطبوعات رسمها فنانون شعبيون مصريون على الحجر وطبعوها بمعاونة الطباعيين الأرمن، وكانت تلك اللوحات تطبع على ورق رخيص بألوان أساسية قوية متراكمة بفعل تحريك القالب الحجري كل مرة؛ وبذلك أصبحت نوعًا شعبيًا حديثًا للطباعة الليثوغرافية المصورة التي تعبر عن سير الفروسية والأولياء والبراق الشريف مع كتابة وزخارف بيئية مصرية، أيضًا طبعوا لوحات أخرى كتابية خالصة ذات إطارات زخرفية وأشكال رمزية كالكف والهلال والنجوم والأشرطة وأحجبة عليها رموز وجداول سحرية وأدعية دينية، وكانت هذه المطابع موجودة في أحياء حارة الحلبية بالأزهر وشارع محمد علي بباب الخلق».

الطباعة الأرمينية

وتطرقت الباحثة آلاء فهيم أحمد . كلية الآداب، جامعة الإسكندرية . إلى المردود الثقافي للطباعة الأرمينية في إستانبول في الفترة (١٨٣٩ - ١٨٧٨) حيث ارتبطت النهضة الثقافية الأرمينية في الدولة العثمانية بازدهار فن الطباعة خاصةً في القرن التاسع عشر، فمنذ اختراع آلة الطباعة على يد الألماني «جوتنبرج»، وقالت: «أدرك الأرمن مدى الأهمية التي جاء بها هذا الاختراع المتواضع، فما لبثوا أن عملوا على إدخال هذه الآلة إلى الدولة العثمانية خاصة مدينة إستانبول حاضرة الخلافة آنذاك».

وأضافت «كان للطباعة الأرمينية في إستانبول دورٌ قوي على النهضة الفكرية الأرمينية خاصةً منذ بداية عصر التنظيمات ١٨٣٩ وحتى مؤتمر برلين وبداية المسألة الأرمينية ١٨٧٨، فقد ساعد الأرمن العثمانيين على ازدهار دورهم في الصحافة والترجمة وبعض الفنون الأدبية وذلك في إستانبول وغيرها من المدن العثمانية. فمنذ عام ١٨٤٥، كان للأرمن مطبعتان في إستانبول وثلاث مطابع في أزمير، ثم ما لبث أن تضاعف عدد هذه المطابع مما ساعد على صدور العديد من الصحف والمجلات والدوريات اليومية والشهرية التي كان يصدرها الأرمن في إستانبول وأزمير وغيرها من الولايات الأرمينية».

وذكرت الباحثة من هذه الدوريات الأرمينية، على سبيل المثال لا الحصر «تلك التي ظهرت في العاصمة العثمانية نتيجة عصر التنظيمات: صحيفة «ماسيس» التي كان يرأس تحريرها «جرابيد أوتوجيان»، وصحيفة «بيي ويحررها هاروتيون سفاجيان»، وصحيفة «هايريك تحرير أرباريان»، إلى جانب الكثير من الصحف الأخرى. هذا إلى جانب الدور الذي لعبته الطباعة الأرمينية في الترجمة، فلقد قامت مؤسسة «داديان إخوان» الأرمينية للطباعة بترجمة العديد من المجلدات والكتب إلى اللغة الأرمينية وطبعها في آلاف النسخ، كما ترجمت التراجيديات الكلاسيكية الأرمينية وتم أداؤها على أول مسرح أسس في إستانبول وكان تحت إدارة «مكرتيش بيشيكتاشليان» (١٨٢٨-١٨٦٨).

هكذا تؤكد الباحثة ما كان للطباعة الأرمينية تأثير ومردود قوي على الجانب الثقافي الأرميني وازدهار اليقظة الفكرية والأدبية للأرمن في هذه الفترة.

● المطبوعات الحجرية بالمغرب

وناقش الباحث المغربي الحسن تاوشيخت . المكتبة الوطنية للمملكة المغربية . المطبوعات الحجرية بالمغرب حيث اعتبر أنها مرحلة وسطى بين الكتابة المخطوطة والطباعة السلكية أو الحديثة، وقال «ظهرت الطباعة الحجرية بالمغرب الأقصى خلال القرن ١٩؛ نتيجة للبعثات العلمية التي أرسلت إلى بعض الدول العربية وخاصة مصر، وكان لظهور هذه الطباعة دور أساسي في توسيع دائرة المعرفة والنشر، فبرزت إلى الوجود مطابع متخصصة وبمدينة فاس بشكل خاص، وقد عملت على طبع مجموعة من المؤلفات التي كانت تعتبر من النوادر والخاصة جدًا»

وكشف تاوشيخت عن احتفاظ المكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالأغلبية العظمى من هذه المؤلفات التي يتجاوز عدد عناوينها الـ «٦٠٠» وهم من مختلف العلوم والفنون، وقال «تتوزع هذه المؤلفات بين ما هو ذو طابع ديني «من تفسير للقرآن الكريم وتبيان معاني بعض الأحاديث النبوية والفتاوى والأذكار»، وتمثل أكثر من ٨٠٪، وبين المواضيع التي تتناول التاريخ (المناقب والسير والحوليات)، وتمثل ٨٪، ثم المطبوعات ذات التوجه الأدبي شعرًا ونثرًا (قصائد وأرجوزات وخطب...)، وتمثل ٦ ٪، والمواضيع ذات الصبغة العلمية الدقيقة (الفلك والطب والكيمياء...)، وتمثل ٤ ٪، وأخيرًا متنوعات (فهرس وتقييد...)، وتمثل ٢ ٪.

دخول الطباعة إلى المغرب

وفي الإطار نفسه تاريخ دخول الطباعة بأنواعها إلى المغرب سواء كانت طباعة حجرية أو غيرها أشار د. المهدي بن محمد السعيدي من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن زهر، أكادير إلى أن دخول الطباعة إلى بلاد المغرب تأخر عن غيره من البلاد العربية؛ لذلك كانت المطبعة الأولى الوافدة إلى البلاد هي المطبعة الحجرية التي نقلت من مصر بواسطة أحد علماء المغرب وهو الطيب بن محمد التملي الروداني قاضي تارودانت إحدى البلدات في الجنوب، حينما استقدم محمد القباني ليشتغل لديه على مطبعته بأجر معلوم اتفقا عليه وهم بالمحروسة، وقد دخلت المطبعة الحجرية إلى المغرب في وقت أقل فيه نجمها بمصر وبدأت المطبعة السلكية تحل محلها وتلقى رواجًا كبيرًا لجودة مطبوعاتها وسرعتها... ولعل سبب اصطفاء هذه الآلة الطباعية بالذات وقدومها من مصر وليس من أوروبا القريبة، يرجع إلى الجو السياسي السائد بالمغرب في القرن ١٣هـ/ ١٨م والمبني على سياسة الاحتراز من التدخل الأوروبي في البلاد المغربية بعد تعرض الجزائر ثم تونس للاحتلال الفرنسي، والتحرز من كل ما يأتي من الغرب من سلع وآلات. وقال «غير أن هذا الاحتراز تحول إلى انفتاح حذر مع بداية العهد الاستعماري بالمغرب، حينما أقبل المغاربة على التقنيات الغربية، خاصة بعد نشر سلطات الحماية الفرنسية لهذه التقنية في البلاد واستعمالها في مجالات عدة كالفلاحة والنقل والتطبيب والاتصال والمجال العسكري والطباعة والنشر، وظهور المطابع الفرنسية والصحافة الموالية للحماية، واكتشاف رواد الحركة الوطنية أهمية الوسائل الجديدة في إصلاح أوضاع المجتمع والنهوض به والعمل على إنهاء عهد الحجر والحماية.

وسعى المهدي إلى استجلاء تاريخ دخول المطبعة الحجرية لأول مرة إلى المغرب، وظروف اشتغالها وإخراجها مجموعة من المؤلفات المتعلقة بالعلوم الشرعية والمتون الدراسية اللغوية، في حالة أقرب ما تكون إلى المخطوطات الأصلية، والتقنيات البسيطة التي طبقتها من حيث طريقة العمل وتوفير الأوراق والمداد والمصححين، ثم تحولها من مؤسسة مخزنية (حكومية) إلى مقاولة خاصة، مما أزاح احتكار الدولة لهذه التقنية وأفسح المجال أمام ظهور مقاولين آخرين في مجال الطباعة الحجرية ثم السلكية بعد ذلك وازدهار الطباعة، خاصة في العهد الاستعماري الذي شهد إقدام السلطات الاستعمارية على التحديث السريع للمجتمع المغربي – وفق ما تم التوقيع عليه في معاهدة الحماية – وتزويده بالتقنيات الضرورية في المجالات المختلفة، ومن ضمنها الطباعة، كما شهد نشاط رواد الحركة الوطنية الدائب في مجال الكتابة والتأليف والطباعة والنشر؛ لنشر أفكارهم والدعوة إلى الإصلاح والنهضة والعمل على استقلال البلاد. كل ذلك جعل المطابع تزدهر وتتكاثر ما بين حكومية وخاصة باللغتين العربية والفرنسية، ثم تواصل إدخال التقنيات الحديثة بعد ذلك حتى عهد الاستقلال الذي شهد زيادة كبيرة في وتيرة الانفتاح التقني والمعرفي على الغرب.

● الانعكاسات السياسية والثقافية للطباعة

وتناولت د. لطيفة الكندوز من جامعة محمد الخامس بالرباط الأبعاد والانعكاسات السياسية والثقافية والاجتماعية للمطبعة بالمغرب حيث قالت «لم يقتصر دور المطبعة في المغرب على الجانب التقني الصرف، المتمثل في نشر الكتب وتوثيقها والحفاظ عليها فقط، بل كانت لها بالإضافة إلى ذلك عدة أدوار فعالة ومختلفة، وأبعاد وانعكاسات كثيرة، شملت عدة مستويات خصوصًا السياسية والاجتماعية والثقافية».

وأضافت «أسهمت الطباعة بدور كبير في التنمية الثقافية بالمغرب؛ حيث تمكنت المطبوعات من تنشيط الحركة التعليمية وتطويرها، فغيرت من النهج التعليمي التقليدي، ووسعت من دائرة التعليم، وطوّرت برامجه ومناهجه، وساعدت على تكوين المدرسة المغربية العصرية؛ مما ساهم في توسيع المدارك الثقافية وانفتاحها على تيارات فكرية جديدة».

وتابعت: «كما فتحت الطباعة آفاق التواصل الثقافي والحضاري بين المغرب والخارج، فبواسطتها وصلت أصداء الدعوة الإصلاحية من الشرق، مما كان له انعكاسات على الكتابات المغربية لاسيما في تناولها لقضية إصلاحات التعليم والمجتمع المغربي، وعن طريق الكتب والجرائد التي كانت تستورد من الشرق، خصوصًا الكتب المصرية واللبنانية، وكذا بواسطة أعضاء البعثات التي درست في جامعات مصر وسوريا ولبنان وفرنسا، اطلع المغاربة على النهضة العربية، وعلى الكفاح ضد المستعمر بالدول الإسلامية، مما كان له الأثر الكبير فينقل المعارف وتبادل الأفكار الإصلاحية بين المغرب والمشرق».

دور الطباعة في التواصل الثقافي والحضاري

الباحث صلاح مصيلحي علي عبد الله من جامعة البحرين تناول دور الطبعة في التواصل الثقافي والحضاري وقال «كان للكتاب العربي قصة طويلة شغلت الناس، وتاريخ حافل ملأ الدنيا منذ نزوله من السماء وانتشاره في آفاق الأرض؛ لتتعلم منه شعوب كثيرة ما لم يكونوا يعلمون، ولما اتصلت الحضارة الإسلامية بغيرها من الحضارات التي أوشكت على الأفول استفادت من علومها، ونقلت كتبها إلى لغتها ثم درستها وزادت عليها جديدًا مبتكرًا؛ وفي ضوء ذلك يحاول هذا البحث أن يبين كيف كان ظهور الطباعة نقطة تحول بين عهدين: عهد جمود العالم الإسلامي، ثم عهد يقظته، فقد كانت حياتنا الثقافية وسبل تخاطبنا شيئًا آخر غير الذي عرفناه بعد أن حمل نابليون مطبعته إلى مصر، فقد عجّلت بحركة التقدم ونشرت الثقافة التي تعني إعادة كتابة التراث الإسلامي بصورته الحقيقية وخصائصه الأساسية التي لا تحتمل الخلاف حولها، عن طريق الفحص والتدقيق والاستكشاف؛ لتعود الحياة إلى التراث ليستقر في عقول الناس وصدورهم، فتتحول الكتب والمراجع إلى غذاء روحي وفكري ويومي يعيشه الناس ويتواصلون من خلاله، في عملية بناء جسور بين الماضي والحاضر، وتمتد إلى المستقبل الذي بدأت ملامحه تضيع منا، وقد أسهمت الطباعة في تعريف العالم بعطاء الثقافة والفكر العربي على مدى العصور».

الطباعة الحرب الباردة

وكشف الباحث أحمد جلال بسيوني . كلية الآداب، جامعة دمنهور . عن أن الكلمة المطبوعة كان لها دورًا بارزًا في الجانب الإعلامي. على أهم النتائج التي ترتبت على انتهاء الحرب العالمية الثانية، ما عُرف باسم «الحرب الباردة»، وهي الحرب التي تناوب فيها المعسكران: الغربي بزعامة الولايات المتحدة، والشرقي بزعامة الاتحاد السوفيتي الصراع للسيطرة على مقدرات العالم وشعوبه بصورة جديدة جدًا في التاريخ، تجنب كلا الفريقين فيها «الحرب الساخنة»؛ لأنه في حالة اندلاعها ستكون كفيلة بتدمير العالم؛ ولذا فقد استبدل المعسكران الكبيران تلك «الحرب الساخنة» بـ «الحرب الباردة».

وأضاف «كان المعسكران الكبيران متفقان ضمنًا على أنّ التراشق بالكلمات أفضل بكثير من التراشق بالصواريخ النووية، فبعد أن كانت دعايات الكلمات المطبوعة سببًا في نشوب الحرب الساخنة في الماضي، أصبحت هي المبرر لهذا الإنفاق المهول على التسلح في كلا المعسكرين بدعوى الخوف من الآخر. ومن هنا فقد حاول كلا الطرفين التفنن والإبداع في توظيف الخطب، أو المقالات، أو التقارير لخدمة الأهداف السياسية والإستراتيجية، وبالتالي كان أحد الأشخاص من هذا الجانب أو ذاك يلقي بخطبة، أو يكتب مقالاً، سرعان ما تتلقفه الصحف وتنشره، ثم تقوم عليها الدراسات والأبحاث والندوات والمؤتمرات لتحليله، فيرد عليه الجانب المقابل بالمثل، فباتت هذه الكلمات إحدى أهم الأسباب التي اندلعت بسببها ما بات يعرف بالحرب الباردة».

جائزة نوبل للآداب للشاعر السويدي توماس ترانسترومر

شعره يتسم بالايجاز والوضوح والاستعارات المعبرة

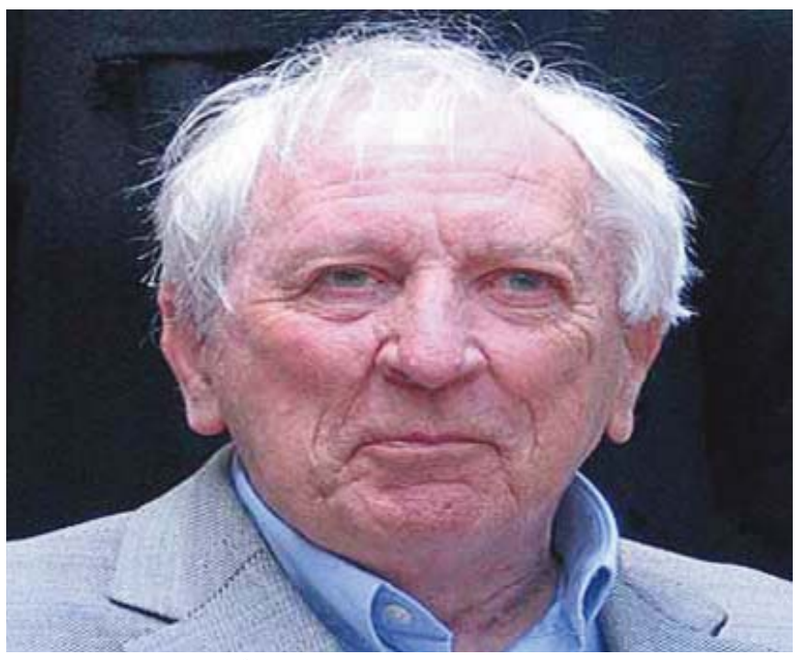

■ ستوكهولهم . لندن . وكالات: منحت جائزة نوبل للاداب العام ٢٠١١ يوم الخميس الماضي الى الشاعر السويدي توماس ترانسترومر البالغ ثمانين عاما مكافأة على بساطة اسلوبه الذي يشرع الباب على الواقع ويرتقي بالانسان، وقد عرف القارىء العربي هذا الشاعر السويدي الكبير من خلال ترجمة لاعماله قام بها المترجم العراقي قاسم حمادي وراجعها الشاعر أدونيس الذي تربطه به علاقة شعرية وشخصية قوية.

واوضحت الاكاديمية السويدية ان ترانسترومر حاز الجائزة ‹لأنه من خلال صور مركزة وواضحة، يعطينا منفذا جديدا على الواقع›.

وعلق الامين العام للاكاديمية بيتر انغلوند ‹يتناول الموت والتاريخ والذاكرة التي تحدق بنا وتزيد من قيمتنا (..) لا يمكننا ابدا ان نشعر بالصغر بعد قراءة شعر ترناسترومر›.

واضافت الاكاديمية ان ‹غالبية دواوين ترانسترومر الشعرية تتسم بالايجاز والوضوح والاستعارات المعبرة›.

واوضح انغلوند ‹ليس شاعرا غزير الانتاج› الا ان بساطة قصائده المعبرة جدا سمحت بترجمة اعماله الى اكثر من ستين لغة.

انطلق في بداياته بقصائد تقليدية تمحورت حول الطبيعة الا ان اعماله اتخذت رويدا رويدا طابعا اكثر حميمية وحرية بحثا عن الارتقاء بالذات وفهم المجهول.

في دواوينه الاخيرة ولا سيما اخر عمل له صدر في ٢٠٠٤ وضم ٤٥ قصيدة صغيرة جدا ‹مال ترانسترومر الى اقتضاب اكبر والى درجة اكبر من التركيز› على ما قالت الاكاديمية.

وقال انغلوند ‹لم يفز اي سويدي بالجائزة منذ اربعين عاما› واسم ترانسترومر مطروح في كل سنة منذ ١٩٩٣›.

في ١٩٧٤ منحت الاكاديمية السويدية الجائزة في قرار نادر جدا الى سويديين اثنين هما ايفيند جونسون وهاري مارتنسون.

ورغم ان اسمه مطروح منذ سنوات ‹فوجئ› ترانسترمر بالنبأ عند تلقيه الاتصال الهاتفي لتبليغه بالفوز.

وروى انغلوند ‹كان يستمع الى الموسيقى› مؤكدا بذلك عادة تحدثت عنها زوجة الشاعر مونيكا في مقابلة صحافية قالت فيها ان الموسيقى باتت في السنوات الاخيرة اهم لترانسترومر من الكتابة.

والى جانب استماعه للموسيقى كل صباح فهو يعزف البيانو يوميا بيده اليسرى فقط لأن اليمنى مشلولة منذ اصابته بسكتة دماغية في ١٩٩٠.

منذ ذلك الحين يواجه صعوبة بالنطق ويترك لزوجته مونيكا مهمة التحدث باسمه.

وقالت مونيكا لوكالة الانباء السويدية بعد اعلان فوزه ‹ما كان يظن انه سيشعر يوما بهكذا فرحة›.

ولد توماس ترانسترومر في ستوكهولم في ١٥ نيسان (ابريل) وتولت والدته تربيته بعد رحيل والده المبكر.

حصل على اجازة في علم النفس العام ١٩٥٦ وعمل في المعهد النفسي التقني في جامعة ستوكهولم قبل ان يهتم في ستينات القرن الماضي بشباب جانحين في معهد متخصص.

بموازاة انجاز اعمال شعرية غنية، عمل مع معوقين وسجناء ومدمني مخدرات.

ويقيم الشاعر مع زوجته مونيكا في ستوكهولم ولهما ابنتان.

وهو يخلف الروائي الاسباني- البيروفي ماريو فارغاس يوسا وسيتسلم الجائزة في ستوكهولم في العاشر من كانون الاول (ديسمبر) مرفقة بمكافأة مالية قدرها عشرة ملايين كورونة سويدية (١،٠٨ مليون دولار).

وهذه عودة الى الشعر تقوم بها الاكاديمية السويدية بعد ان سيطرت الرواية والروائيون على جوائزها في السنين الأخيرة. ويذكر ان الشاعر العربي أدونيس من المرشحين للجائزة وهو، للمفارقة، الذي اسهم في تقديم هذا الشاعر السويدي الى اللغة العربية من خلال مراجعته لترجمات اعماله التي نشرتها دار ‹بدايات› في دمشق عام ٢٠٠٥ كما شارك في امسية شعرية معه في دمشق عند صدور الأعمال الشعرية.

هنا ترجمات لبعض قصائده حققها قاسم حمادي:

دخل القطار إلى المحطة . يصفُّ هنا عرباته واحدة بعد الأخرى ،
لكن لا يُفتَح أي باب ، ولا أحد يخرج أو يصعد .
أهناك بالفعل أبواب ؟ في الداخل ضجيج أناسٍ محجوزين يتحركون ذهاباً وإياباً .
ينظرون إلى الخارج عبر النوافذ الثابتة .
في الخارج يمشي رجل بمحاذاة القطار حاملاً مطرقة .
يطرق على الإطارات ، صوت ضعيف . إلا هنا !
هنا يتضخم الصوت بشكل غير معقول : رعد ، رنين أجراس كاتدرائية ، دويٌّ عابرٌ المحيط يرفع القطار كله
والحجارة المبللة في المنطقة .
كل شيءٍ يغنّي . سوف تتذكرونَ ذلك . تابعوا سفركم!

في هذه الأشهر الكئيبة لم تتوهج حياتي
إلا عندما مارست الحب معك .
كمثل اليراعة تشتعل وتنطفئ ، تشتعل وتنطفئ
بنظرات خاطفة يمكن رؤية طريقها
يمكننا أن نتبع طريقها بلمحةٍ في عتمة الليل بين أشجار الزيتون .

في هذه الأشهر الكئيبة ظلت روحي هابطة
لا حياة فيها
فيما كان الجسد يمضي مباشرةً إليك .
كانت السماء تجأر ليلاً .
خلسةً كنا نستدرُّ حليبَ الكون لكي نستمرّ في البقاء .

أسلاك التوتر العالي
مشدودة في مملكة البرد
إلى شمال كل موسيقى .

الشمس البيضاء
تتدرّب راكضةً وحدها إلى
جبال الموت الزرقاء .

الشمس الآن منخفضة ؛
ظلالنا عملاقة .
قريباً يدخل كل شيءٍ في الظل .

جدار اليأس ..
بلا أوجه
تأتي الحمائم وتذهب .

على رف في
مكتبة المجانين
كتاب العظات غير ملموس .

غابة مدهشة
يعيش فيها الله بلا مال .
الجدران مضاءة .

حدث شيءٌ ما ..
أضاء القمر الغرفة .
الله وحده يعلم ذلك .

أصغي إلى هطول المطر
أهمسُ سراً
لكي أصل إلى هناك .

ريح الله في ظهرنا .
طلقة نار تجيءُ بلا صوت
حلم طويل جداً .

نيسان والصمت

يستلقي الربيع مهجوراً
الخندق المخملي المظلم
يزحف بجانبي دون انعكاسات

وحدها الورود الصفراء مضاءة

أُحمل في ظلي
كمثل كمان
في صندوقه الأسود
ما أريد قوله
يتألق خارج متناول اليد
كمثل الفضة
عند الراهن.